

تفسير ابن كثير

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

(الذين يؤمنون بالغيب) قال أبو جعفر الرازي ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن

أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : الإيمان التصديق . وقال علي بن

أبي طلحة وغيره ، عن ابن عباس ، (يؤمنون) يصدقون . وقال معمر عن الزهري : الإيمان

العمل . وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : (يؤمنون) يخشون . قال ابن جرير

وغيره : والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً قال : وقد تدخل

الخشية الله في معنى الإيمان ، الذي هو تصديق القول بالعمل ، والإيمان كلمة جامعة

للإقرار بالله وكتبه ورسوله ، وتصديق الإقرار بالفعل . قلت : أما الإيمان في اللغة فيطلق

على التصديق المحض ، وقد يستعمل في القرآن ، والمراد به ذلك ، كما قال تعالى : (

يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) [التوبة : 61] ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : (وما أنت

بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) [يوسف : 17] ، وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال ؛

كقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) [الانشقاق : 25 ، والتين : 6] ، فأما إذا

استعمل مطلقا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا. هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعا : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أوردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري ، والله الحمد والمنة . ومنهم من فسره بالخشية ، لقوله تعالى : (إن الذين يخشون ربهم بالغيب) [الملك : 12] ، وقوله : (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) [ق : 33] ، والخشية خلاصة الإيمان والعلم ، كما قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر : 28] . وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه ، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد . قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله : (يؤمنون بالغيب) قال : يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث ، فهذا غيب كله . وكذا قال قتادة بن دعامة . وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة ، وأمر النار ، وما

ذكر في القرآن. وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (بالغيب) قال : بما جاء منه ، يعني : من الله تعالى

.وقال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، قال : الغيب : القرآن .وقال عطاء بن أبي

رباح : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .وقال إسماعيل بن أبي خالد : (يؤمنون بالغيب)

قال : بغيب الإسلام .وقال زيد بن أسلم : (الذين يؤمنون بالغيب) قال : بالقدر . فكل

هذه متقاربة في معنى واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان

به .وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن

عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا ، فذكرنا أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم وما سبقوا به ، قال : فقال عبد الله : إن أمر محمد صلى الله عليه

وسلم كان بينا لمن رآه ، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب

، ثم قرأ : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) إلى قوله :

(المفلحون) [البقرة : 1 - 5] .وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والحاكم

في مستدركه ، من طرق ، عن الأعمش ، به .وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين

، ولم يخرجاه . وفي معنى هذا الحديث الذي رواه [الإمام] أحمد ، حدثنا أبو المغيرة ،
أخبرنا الأوزاعي ، حدثني أسيد بن عبد الرحمن ، عن خالد بن دريك ، عن ابن محيريز ،
قال : قلت لأبي جمعة : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم
، أحدثك حديثا جيدا : تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن
الجراح ، فقال : يا رسول الله ، هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك . قال :
نعم ، قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني . طريق أخرى : قال أبو بكر بن مردويه في
تفسيره : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا إسماعيل عن عبد الله بن مسعود ، حدثنا عبد
الله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن صالح بن جبير ، قال : قدم علينا أبو جمعة
الأنصاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ، ليصلي فيه ، ومعنا
يومئذ رجاء بن حيوة ، فلما انصرف خرجنا نشيعه ، فلما أراد الانصراف قال : إن لكم
جائزة وحقا ؛ أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلنا : هات
رحمك الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر
عشرة ، فقلنا : يا رسول الله ، هل من قوم أعظم أجرا منا ؟ آمنا بك واتبعناك ؟ قال : ما

يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء ، بل قوم من بعدكم
يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجرا مرتين . ثم
رواه من حديث ضمرة بن ربيعة ، عن مرزوق بن نافع ، عن صالح بن جبير ، عن أبي
جمعة ، بنحوه . وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل
الحديث ، كما قررته في أول شرح البخاري ؛ لأنه مدحهم على ذلك وذكر أنهم أعظم
أجرا من هذه الحيشة لا مطلقا . وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي :
حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي ، عن المغيرة بن قيس التميمي ، عن عمرو بن شعيب
، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الخلق أعجب
إليكم إيمانا ؟ . قالوا : الملائكة . قال : وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ . قالوا : فالنبيون
 . قال : وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ . قالوا : فنحن . قال : وما لكم لا تؤمنون
وأنا بين أظهركم ؟ . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا إن أعجب الخلق
إلي إيمانا لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها . قال أبو
حاتم الرازي : المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث . قلت : ولكن قد روى أبو يعلى في

مسنده ، وابن مردويه في تفسيره ، والحاكم في مستدركه ، من حديث محمد بن أبي حميد ، وفيه ضعف ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله أو نحوه . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا ، والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن محمد المسندي ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري ، أخبرني جعفر بن محمود ، عن جدته تويلة بنت أسلم ، قالت : صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة ، فاستقبلنا مسجد إيلياء ، فصلينا سجدتين ، ثم جاءنا من يخبرنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام ، فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء ، فصلينا السجدتين الباقيتين ، ونحن مستقبلون البيت الحرام . قال إبراهيم : فحدثني رجال من بني حارثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك قال : أولئك قوم آمنوا بالغيب . هذا حديث غريب من هذا الوجه . ويقىمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون قال ابن عباس : (ويقىمون الصلاة أي : يقيمون الصلاة بفروضها . وقال الضحاك ، عن ابن عباس : إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود

والتلاوة والخشوع والإقبال عليها وفيها .وقال قتادة : إقامة الصلاة : المحافظة على مواقيتها ، ووضوئها ، وركوعها وسجودها .وقال مقاتل بن حيان : إقامتها : المحافظة على مواقيتها ، وإسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها ، والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهذا إقامتها .وقال علي بن أبي طلحة ، وغيره عن ابن عباس : (ومما رزقناهم ينفقون قال : زكاة أموالهم .وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومما رزقناهم ينفقون قال : هي نفقة الرجل على أهله ، وهذا قبل أن تنزل الزكاة .وقال جويبر ، عن الضحاك : كانت النفقات قربات ، يتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات : سبع آيات في سورة " براءة " ، مما يذكر فيهن الصدقات ، هن الناسخات المثبتات .وقال قتادة : (ومما رزقناهم ينفقون فأنفقوا مما أعطاكم الله ؛ هذه الأموال عواري ، وودائع عندك يا ابن آدم ، يوشك أن تفارقها .واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات ؛ فإنه قال : وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم : أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين ، زكاة كان ذلك أو

نفقة من لزمته نفقته من أهل ، أو عيال ، وغيرهم ، ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة
والملك ، وغير ذلك ؛ لأن الله تعالى عم وصفهم ومدحهم بذلك ، وكل من الإنفاق
والزكاة ممدوح به محمود عليه . قلت : كثيرا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من
الأموال ؛ فإن الصلاة حق الله وعبادته ، وهي مشتملة على توحيدِهِ ، والثناء عليه ،
وتمجيده ، والابتغال إليه ، ودعائه ، والتوكل عليه ، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين
بالنفع المتعدي إليهم ، وأولى الناس بذلك القرابات ، والأهلون ، والمماليك ، ثم الأجانب
، فكل من النفقات الواجبة ، والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى : (ومما رزقناهم
ينفقون ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،
وصوم رمضان ، وحج البيت . والأحاديث في هذا كثيرة . وأصل الصلاة في كلام العرب
الدعاء ، قال الأعشى : لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وإن ذبحت صلى عليها وزمزمأ وقال
أيضا : وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسما أنشدهما ابن جرير مستشهدا على ذلك .
وقال الآخر : تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يا رب جنب أبي الأوصاب والوجع عليك مثل

الذي صليت فاغتمضي نوما فإن لجنب المرء مضطجعايقول : عليك من الدعاء مثل الذي

دعيت له لي . وهذا ظاهر ، ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود

والأفعال المنصوصة في الأوقات المنصوصة ، بشروطها المعروفة ، وصفاتها ، وأنواعها]

المشروعة [المشهورة . وقال ابن جرير : وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة ؛ لأن

المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله ، مع ما يسأل ربه من حاجته .]

وقيل : هي مشتقة من الصلويين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع ، وهما عرقان يمتدان من

الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب ، ومنه سمي المصلي ؛ وهو الثاني للسابق في حلبة الخيل ،

وفيه نظر ، وقيل : هي مشتقة من الصلى ، وهو الملازمة للشيء من قوله : (لا يصلها) أي

: يلزمها ويدوم فيها إلا الأشتى) [الليل : 15] وقيل : مشتقة من تصلية الخشبة في النار

لتقوم ، كما أن المصلي يقوم عوجه بالصلاة : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

ولذكر الله أكبر) [العنكبوت : 45] واشتقاقها من الدعاء أصبح وأشهر ، والله أعلم [

وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه ، إن شاء الله .